

The Relationship of the ancient Egyptian artist with authority and its impact on his artistic production

Dr/ Mahmoud Mohammed El-Garhy

مقدمة :

الفن المصري القديم على مدار تاريخه هو فن ديني بالأساس موجه لخدمة المعتقدات الدينية ، خاصة عقيدة البعث والخلود ، وكل ما تحتويه المقابر والمعابد المصرية القديمة من أعمال سواء نحت أو تصوير أو فنون صغرى أو عمارة كان بتوجيه ورعاية ملكية ، وفي الغالب الأعم كان هناك فنان مشرف يعتبر بمثابة السلطة ذاتها ، ويتجلى ذلك على سبيل المثال بالمجموعة المعمارية للملك زوسر بسقارة والتي أنشأها له وزيره إيمحتب ، وكذلك بمعبد حتشبسوت الذى أبدعه الوزير سنموت . وكان الفن يزدهر وينكمش تبعاً للظروف السياسية والاقتصادية ومدى استقرار وقوة السلطة المركزية للنظام الحاكم فى مصر القديمة.

" كان الفنانون عادة من الذكور وتعلموا الفن عندما كانوا صغارا " (Jeremy Smith , 2007, p. 159) وقد كان احترام الفنان المنفذ وعمله وفق تلك المنظومة سبباً فى نفي صفة الإبداع عنه ، حيث اعتبره بعض النقاد الغربيين أنه لا يستحق لقب (فنان) ، " باعتبار النحاتين والرسامين لا ينفصلون عن غيرهم من صناع الأثاث والخزافين " (Philippe de Montebello , p. 53) ، ولكنه مفهوم خاطئ حيث حاول الفنان المصري القديم كثيراً التعبير عن إبداعه داخل هذا الإطار، بما لا يتعارض مع الخط العام للقواعد والمعايير الموضوعية منذ البدايات الأولى للحضارة المصرية القديمة.

بل تنتفي تلك الشبهة تماماً إذا وضع فى الاعتبار نجاح الفنان فى أن يجد لنفسه من وقت لآخر متنفساً بإنتاج نوع من الفن الدينى ذا صبغة شعبية تنفجر فيه طاقاته الإبداعية بعيداً عن الرقابة الكهنوتية ، وبعيداً عن الإشراف الرسمى للسلطة الحاكمة . من ذلك ما نراه من لخفات حجرية بمنطقة دير المدينة بالأقصر (طيبة) ، تهكم فيها من الملك الحاكم ، والنيل على هيئته ، بل وصل الأمر إلى التناول على الإله المعبود نفسه وعلى الدين الرسمى .

والسلطة لفظاً هي التسلط والسيطرة والتحكم (سيادة وحكم) (معجم المعاني الجامع) وقد يختلف المفهوم الاصطلاحي للسلطة من مجتمع لآخر ، ومن تقاليد سياسية لأخرى ، ورغم الآراء والاجتهادات الكثيرة حول هذا المفهوم إلا أنها تتباين مع بعضها البعض أحياناً ، وقد تتضارب أحياناً أخرى. " فرغم الاهتمام الكبير والاستخدام الواسع لمفهوم السلطة فى إطار الدراسات والأبحاث السوسولوجية ، إلا أننا نلاحظ بوضوح التداخل فى استخداماته ، وإحلاله بديلاً لبعض الأحيان لمصطلحات ومفاهيم أخرى ، مثل الدولة ، والحكومة ، والقوة ، والنفوذ ، والسيطرة " (بوغراري شيخة ، 2015).

ولقد كان النظام المصرى نظاماً ملكياً يقوم على أساس تركيز السلطات فى يد الملك ، ويستعين فى إدارة شئون البلاد بعدد من الوزراء ، والموظفين التابعين للأجهزة الإدارية فى الدولة . وقد أضفت أساطير الكهنة على تلك المنظومة مسحة دينية كبيرة ، حيث ساد الاعتقاد أن الآلهة هم أول من حكموا على الأرض وبعد تخلص المعبود ست من أخيه المعبود ازوريس ، ثم بعد الصراع المطول بين ست وحورس الإبن . إستقر الأمر لحورس ، الذى صعد إلى السماء فى نهاية الامر تاركاً الملك (الفرعون) نائباً عنه وخليفة له ، وبالتالي كان ينظر للملك باعتباره من نسل الآلهة ومفوض من قبل حورس ، كما يعتبر تجسيداً له على الأرض . و" بوصفه ملكاً على مصر إنما كان ابناً وخليفة للآلة ، يقدم لها القرابين

. كأسلاف له ، كما كان يقدم أى فرد عادى قرابينه لأرواح أجداده ، ومن ثم فهو الكاهن الأول لكل إله فى البلاد وبالتالي فقد كان عليه أن يقوم بالطقوس الواجبة نحو الآلهة . وبديهى أن هذا كان أمراً محالاً . زمانا ومكانا ، ومن ثم فقد كان الملك ينيب عنه أولاده أو كبار موظفيه فى الأقاليم ، على أن يقوم هو بأداء واجبه الدينى نحو اله العاصمة . وهكذا كانت مكانة الكهنة إنما تقوم على أساس أنهم منيبون عن السلطة الملكية المؤلمة ، وكانوا يؤدون الطقوس الدينية اليومية فى كل البلاد باسم الملك الفرعون " (دوما فرانسوا ، 1998) ، وفكرة أن يعهد الملك لأفراد من عائلته وأسرته للقيام بدور الكاهن الأول - التى سادت فى الدولة القديمة - لم تكن إلا نوع من إسباغ السيطرة الروحية على البلاد وتركيز مقاليد الحكم والسلطة بيده ، كما يعكس ذلك حالة من التوحد بين السلطتين السياسية والدينية وتداخلاً بينهما .

مشكلة البحث:

بالرغم من كثرة البحوث والدراسات السابقة التي تناولت أساليب الفن المصري القديم خلال مراحلها المختلفة ؛ إلا أن هذه الدراسات أغفلت كثيراً تناول علاقة الفنان المصري القديم بالسلطة ، وأثر ذلك في إنتاجه الفني وعلاقة كل ذلك بفكرة التقيد والإبداع في أعماله الفنية .

حدود البحث:

- الحد الزمني : الفن المصري القديم (من بداية الدولة القديمة وحتى نهاية الدولة الحديثة).
- الحد المكاني : مصر القديمة .

منهج البحث :

يعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي ؛ حيث يقوم بوصف وتحليل وقراءة بعض الأعمال الفنية و استعراض الدراسات والبحوث المرتبطة بهذه الفكرة .

أهداف البحث:

يسعى الباحث الى تحقيق الاهداف التالية .

- 1- التعرف على مفهوم السلطة في مصر القديمة وعلاقتها بالفن والفنان .
- 2- التعرف على المنظومة الفنية في مصر القديمة ودور الفنان فيها ومدى الحرية التي تمتع بها في تنفيذ أعماله .
- 3- قراءة وتحليل بعض النماذج الفنية ، ومعرفة مدلولها الفني المرتبط بعلاقة الفنان بالمنظومة الحاكمة في مصر القديمة.

مصطلحات البحث : (السلطة ، الفنان المصري القديم ، الانتاج الفني)

الخلاصة :

ومما سبق يتضح لنا أن الفنان المصري القديم كان ملتزم بتوجيهات السلطة الحاكمة ، وبالقواعد والقوانين الفنية التي وضعها الكهنة ، إلا أننا نشهد بعض الحالات التي كان يسعى فيها الفنان للبحث عن أساليب وتقنيات يخرج من خلالها إبداعاته ، كما كان يعبر بمنتهى الحرية في موضوعاته الدنيوية طالما كان ذلك بعيداً عن أعين السلطة المركزية ورقابة الكهنة .

النتائج والتوصيات :

توصل الباحث إلى النتائج والتوصيات التالية .

- أن السلطة السياسية في مصر القديمة متداخلة بشكل كبير مع الكهنة والنظام الدينى الذين هم في الغالب من الأمراء و أبناء الملوك.
- كان للسلطة في مصر القديمة دور هام في الاشراف على الفن وتوجيه الفنانين ، إلا ان الفنان كان دائما ما يخرج بعضا من ابداعاته في اطار تلك المنظومة .
- عدم توقيع الفنان على أعماله ، وعمله ضمن مجموعات لا يقلل من إبداعاته.
- كان للفنان دور دعائي هام داعم للسلطة المركزية الحاكمة.
- كانت تتباين علاقة الفنان بالسلطة من وقت لآخر حسب الأحوال السياسية والإقتصادية بالبلاد ، وظهر ذلك في أعماله الفنية من وقت لآخر .
- تعتبر أعمال دير المدينة الدنيوية طفرة كبيرة في أداء و أسلوب الفنان المصري القديم وتعكس أنه كان يعمل بحرية أكبر بعيدا عن رقابة السلطة الحاكمة وبعيدا عن الاعمال الرسمية للدولة .
- يوصي الباحث بضرورة إلقاء الضوء بشكل أكبر على أعمال دير المدينة حتى يتمكن المتخصصين من ضحد أي افتراءات حول الفنان المصري أو اتهام الفن المصري القديم بالجمود وعدم التنوع.
- يوصي البحث بضرورة الاهتمام بالأبحاث والدراسات التي تتناول الفنان المصري القديم ومقدار ما تمتع به من حرية في عمله.